وأنت يافلسطين ، ماذا أقول وكل حرف من اسمك المطهر يفجر فى قلبى نبعاً جديداً من الأسى ؟ أأرثى لحظك المنكود أم أرثى أرضك التى لم تراعَ حرمة لقدسيتها ؟ أم أنوح على مئات الضحايا تقديمها كل فجر على مذبح الشرف والحرية ؟ أم هل أشق الفضاء بصيحات أندب فيها قراك الخربة ومنازلك المتهدمة وحقلك المسلوب ؟ كلا والله ليس البكاء والعويل بمنقذك .

أي أندلسنا الجديدة: إن أبناء الأندلس القديمة لم يبخلوا بالندب والنواح والاستغاثة والصياح ، ولكنهم مع ذلك خسروا بلادهم وأخرجوا عن ديتهم لأنهم اكتفوا بآهات الألم واستسلموا لليأس وسلموا قيادهم من يجهل معنى الاخلاص . أما أنت فقد خرجت الآن من دور البكاء والاستسلام والتسليم ، وما عادت تجوز عليك خدع المتزعمين من أبنائك طلاب السلطة والمال ، وقد دخلت أخيراً فى دور الجهاد المبارك الذى أعلنه المخلصون من أبنائك البررة — أبناء الشعب السذج ذوى الايمان القوى والعقيدة الراسخة والأرض المسلوبة .

فجاهدى وناضلى يافلسطين واعلمى أنك قطعة ثمينة من الوطن الأكبر الذى لا يزال فيه بقية من الخلق الذى كان يتحلى به فتيان محمد (ص) الأولين . وهذه البقية الباقية إن كانت ضئيلة اليوم فلن تبقى ضئيلة إلى الأبد فانها والله لكالجمرة التى خلفتها النيران فى الرماد وظن الناس أنها منطفئة ، حتى إذا ماهبت العاصفة أطارت الرماد وعرّت الجمرة ونفخت فيها الحياة فاحمرت ثم اندلعت منها ألسنة اللهيب واتصلت بما حولها وتوسعت دائرة الاشتعال حتى أصبح إخادها فى حكم المستحيل . وها هى ذى عواصف الاضطهاد والارهاق تكتنفنا من كل جانب وهى كفيلة باذكاء نار الحمية فينا وإعادة ذلك العهد الذى دُكت فيه عروش الأكاسرة والقياصرة على يد فئة قليلة يقودها بدوى أمى خرج من قلب الصحراء المقفرة .

وهذا الأمل الجديد الذى أبشرك به يافلسطين لقد ولده فى قلبى عمل حكمة أحد فتيان محمد (ص) . فأرسلى ناظريك إلى ما وراء الصحراء وترقبى — مثلى — خروج القائد المنتظر فى بلاد (حكمة) ومن جيل حكمة .

« بغداد — دار الدراسات الريفية » علي هيدر الراوي

فى مصر الاسلامية

تنازع البقاء بين العلوية والعثمانية

للدكتور حسن إبراهيم حسن

الأستاذ بكلية الآداب

كان من العوامل الخارجية التى نازعت سلطان العلويين فى مصر وجود حزب الأمويين فى الشام ، وعلى رأسه معاوية ابن أبى سفيان الذى أخذ يعمل على سلخ مصر من على بن أبى طالب . وسار معاوية إلى هذه البلاد ونزل بسلمشت من كورة عين شمس (فى شوال ٣٦ هـ) ، فخرج إليه ابن أبى حذيفة وأنصاره ليمنعوه ، فبعث إليه معاوية يخبره أنه لا يريد قتالاً وإنما يريد أن يدفع إليه رءوس قتلة عثمان ، فأبى ذلك عليه ، فبعث معاوية يطلب إليه تبادل الرهائن والودائع ، كى يضمنوا جميعاً أن يكفّ الفريقان عن الحرب ، فقبل ذلك ابن أبى حذيفة .

ولعل ابن أبى حذيفة لم يفطن إلى ما كان يرمى إليه معاوية ، وأن هذا الطلب لم يكن فى حقيقة الأمر إلا مكيدة حاك شراكها دهاؤه ، فاستخلف على مصر رجلا من أنصاره ، هو الحكم بن الصلت ، وخرج فى الرهن هو وغيره من قتلة عثمان ، ثم سجنهم معاوية فى « لدّ » من أرض فلسطين ، وسار إلى دمشق ، فهربوا من سجنهم ، إلا واحداً أبى الفرار ، فتعقبهم عامل معاوية وقتلهم ، وكان من بين القتلى محمد بن أبى حذيفة . (ذو الحجة ٣٦ هـ) وذلك بعد قتل عثمان بسنة كاملة [1]

ولسنا ندرى كيف يعلل خروج ابن أبى حذيفة ، وهو رأس شيعة علىّ فى مصر وغيره من أنصار العلويين وزجه بنفسه فى مضامير هذا الرهن . بيد أن المصدر التاريخى الذى نعوّل عليه فى هذه الناحية هو كتاب « الولاة » للكندى (٣٥٠ هـ) أقدم مؤرخى مصر بعد ابن عبد الحكم (وعنه أخذ غيره من المؤرخين المتأخرين ، وأهمهم ابن دقاق والمقريزى وأبو المحاسن والسيوطى) لم يذكر لنا السبب الذى حدا بابن أبى حذيفة وأنصاره إلى الذهاب فى الرهن ، بل ولم تذكر المراجع كلمة واحدة عن رجال معاوية الذين دخلوا فى هذا الرهن ، الذى لم

(١) الولاة للكندى ص ١٩ — ٢٠ والخطط للمقريزى ج ٢ ص ٣٣٦

يكن فى حقيقة الأمر — إن كان قد وجد فعلا — على قدم المساواة بين الفريقين المتخاصمين .

وقد يكون معاوية رأى أنه مع استطاعته فتح مصر أن الوقت لم يحن بعد لهذا الأمر ، إذ لابد له من الاحتفاظ بقوّة كبيرة لمنع مناوأة العلويين ، لأن جميع أهل مصر بايعوا ابن أبي حذيفة إلا نفراً يسيراً انتصروا لعثمان [1] ؛ فعول معاوية على استئصال شأفة رءوس قتلة عثمان ليتمكن من حرب علي ثم يستولى على مصر متى تهيأت له الفرصة بعد أن يوقع بجيش علي.

وبعيد جداً أن يكون ابن أبي حذيفة قد اضطر إلى قبول طلب معاوية ، لأنّ الرجل لم يبال بخصمه . يدلك على ذلك أن معاوية لمّا بعث إلى ابن أبي حذيفة يطلب منه أن يدفع إليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وهما رأس قتلة عثمان امتنع ابن أبي حذيفة وقال : لو طلبت منا جديأ رطب السرّة بعثمان مادفعناه إليك [2] » وهذا يحملنا على الظن بأن معاوية لجأ إلى هذه الحيلة حين لم تجد جهوده الحربية مع ابن أبي حذيفة نفعاً .

ولما بلغ علياً قتلُ ابن أبي حذيفة ولى مصر قيس ابن عبادة الأنصارى ، فدخلها فى ربيع الأول ٣٧ هـ ، وكان من أهل الرأى والدأس ، واستمال إليه العثمانية المقيمين بخُرْبتا (شرقى الدلتا) وأحسن إليهم ، وكان أهل مصر إلا هؤلاء (وعددهم زهاء عشرة آلاف) مع علىّ بن أبي طالب .

وقد حاول معاوية وعمرو بن العاص التغلب على مصر ، فاستعص قيس هذا على معاوية ، فلم يكن بدّ إذاً من إعمال الحيلة لإخراجه ، فأذاع معاوية أن قيساً من شيعة عثمان وأنّ كتبه تأتيه . فلما سمع علىّ بذلك ، أمَرَ قيساً بمحاربة العثمانيين بخربتا ، فأجابه بأنه أمّنهم على أنفسهم ليأمن جانبهم ، لأن فيهم كثيرين من وجوه أهل مصر وأشرافهم ، فعزله علىّ وولىّ مكانه الأشتر بن مالك لأنه ثقل عليه ، فأبعده عنه [3] .

على أن والى مصر الجديد لم يكد يصل للفرما (وهى السويس الحالية) حتى شرب شربة من العسل لايبعد أن يكون قد دُس له فيها السمّ فمات ، فولى مصر بعده محمد بن أبي بكر [4] ، فأظهر الخيلاء ، وأساء إلى العثمانية ، وبعث إلى رأسهم معاوية بن حُدَيج يدعوه إلى بيعة علي ،فلم يجبه إلى طلبه ، فهدم دورهم ، ونهب أموالهم ، وآذى أولادهم ، وحبسهم ؛ فعوّلوا على حربه ، ولكن ابن أبي بكر رأي أن يتلافى ماقد يجرّه الاشتباك فى حرب معهم فصالحهم ، ثم سيرهم إلى معاوية فبقوا هناك إلى أن انتهت موقعة صفين وعقد التحكيم .

ولم يكن معاوية بالذى يَفْتُر عن استخلاص مصر وانتزاعها من علي . وزحف عمرو بن العاص على رأس جيش من أهل الشام ، وحَمِيَ القتال بين الفريقين ، فوقعت الهزيمة على أهل مصر ، ودخل عمرو الفسطاط واختفى محمد بن أبي بكر ، فبعث معاويةُ بنُ حديج عدوّه القديم العيون والأرصاد ، حتى اهتدوا إلى مكانه ، فقتله ابن حُديج ثم جعله فى جيفة حمار ، وأحرقه بالنار وكان ذلك فى صفر سنة ٣٨ هـ .

وبذلك خلصت مصر لمعاوية ، فولاها عمرو بن العاص ولاية مطلقة ، وجعلها له طعمة بعد النفقة على جندها ، وما تحتاج إليه من ضروب الاصلاح . ولما قتل علىّ بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ ، وتحولت الخلافة إلى بني أمية ، أصبحت الأجناد وأهل الشوكة فى مصر شيعة عثمان ، بيد أن بقية المصريين ظلّوا يشايعون علي بن أبي طالب وأهل بيته ، فظل العداء قائماً بين الحزبين في هذه البلاد (وفى غيرها) طوال عهد الأمويين ، وفى الصدر الأول من أيام العباسيين .

حسن ابراهيم حسن

(١) الكندى : شرحه ص ١٧
(٢) شرحه ص ١٩
(٣) الولاة والقضاة للكندى ص ٢٠ — ٢٢
(٤) كان دخوله مصر في منتصف رمضان سنة ٣٧ هـ .